شهادة ذاتية

# تجربتي في منتدى معلمي إذنا

نعمان سالم

في البداية كانت فكرة المنتدى بالنسبة لي ضبابية: فأي منتدى هذا؟ وما عمله؟ ومن القائمون عليه؟ وما الهدف المنشود من ورائه؟ ومن هم داعموه؟ فترددت في المشاركة والالتحاق به متسائلاً عن الأعمال التي يمكن أن يقدمها لنا هذا المنتدى الخارج من رحم مؤسسة لا نعرف عنها إلا أنها داعمة له. وهل يوجد هنالك مؤسسات تعنى بشؤون التربية والتعليم غير المؤسسات الحكومية الرسمية هذا من جهة؟ ومن جهة أخرى من ذا الذي يهتم لأمر المعلم الذي طواه النسيان في هذا العالم السريع؟

كنت في البداية مشككاً في قدرة المنتدى على القيام بالمهام المنوطة به، وبخاصة أنه يريد العمل في وسط منهك من عبء العمل المدرسي، إضافة للوضع الاقتصادي السيئ الذي يعيشه المعلم والذي يدعوه للبحث عن مهن مختلفة لسد هذا العجز وتأمين متطلبات حياته وحياة أبنائه. كنت معتقداً أنه لا يمكن الاشتغال بالهم التربوي والثقافي والاجتماعي في ظل هذه الظروف ببساطة هذا من جانب، ومن جانب آخر، إذنا بلدة، شأنها شأن كل البلدات، تعاني من الإشكاليات الطبقية والاجتماعية التي تحول أية مؤسسة كانت إلى بيئة خصبة لنوعين من التناحر، إما تناحراً عشائرياً وإما سياسياً، وكلاهما يحيدانها عن المسار الصحيح لتصبح في النهاية عبئاً على كاهل المجتمع بقدر ما هي ضرورية للنهوض به.

وبعد مرور أقل من نصف عام استيقظت لأجد مؤسسة عمرها بضعة أشهر، وإنجازاتها أكبر من عمرها الطفولي، ففي هذه المدة القصيرة عقدت ندوات اتسمت بالجرأة والحس الثقافي العالي، وأوجدت نواة لمكتبة هي الأولى من نوعها في بلدة إذنا، فعلى الرغم من صغر عمرها، فإنها اشتملت على العديد من الكتب القيمة التي تساعد المعلم على تطوير ذاته في المجال التربوي ورفع مستواه الثقافي. فوجدت نفسي مضطراً للانخراط في هذا المنتدى الذي أفخر بكوني أحد أعضائه، وبعدها وجدت نفسي متصفحاً لبعض كتب المكتبة، وإذ بي أقرأ كتاباً كاملاً، وهذا ما لم أتوقع أن أفعله في يوم من الأيام، والصراحة أن ما استفزني للقيام بذلك هو تلك الندوات التي عقدها المنتدى، ما أجبرني على العودة لبعض المعاجم لأفسر بعض ما قاله ضيوف تلك الندوات.

وذات يوم طلب مني عرض كتاب فترددت في الموافقة متسائلاً ماذا سيحصل لي لو فشلت في العرض؟ وكيف ستكون نظرة زملائي لي بعد هذا الفشل؟ لاغياً من معجم مفرداتي مفهوم النجاح الذي تحقق وبشكل باهر أثناء العرض الذي أمتع الزملاء الحضور وأفادهم. ولكن استفحلت المشكلة بعد العرض حين طلب مني عرض هذه التجربة على شكل مقال، فكان ذلك اليوم يوم شؤم بالنسبة لي، فلا سابق تجربة لي في هذا المجال. ومفهوم الفشل هو الطاغي، فأخرجت نصاً لم أصدق أنني كتبته لأن من رآه شكره ومدحه كخطوة أولى لي في هذا المجال. فتشجعت على التخلص ولو بشكل جزئي من ذلك المفهوم الطاغي على حياتي بأسرها، وبعد ذلك وجدت نفسي مبادراً للكتابة، فشعرت بمدى التطور الحاصل لدي في هذا المجال.

وبالإضافة إلى ذلك، عمل المنتدى على خلق حالة من التواصل بين المعلمين، حيث توجد لي شبكة من العلاقات الاجتماعية المميزة التي تربطني مع مجموعة من الزملاء التي ما كانت ستكون وبهذه القوة

لولا وجود المنتدى. ولا نستطيع أن نغفل عن الحوارات الجانبية التي تتم في المنتدى بين المعلمين المرتادين الذين يحضرون يومياً لمقر المنتدى، والحوارات المتواصلة التي تتم مع الضيوف عند زيارتهم مقر المنتدى. فيما بعد أدركت أن المنتدى يبحث عن دور جديد وهوية جديدة تناسب روح العصر الذي نعيش، فالمعلم لا يقتصر عمله داخل جدران المدرسة، بل يجب علية أن يستعيد دوره الريادي في المجتمع، بما يتلاءم مع قدسية الرسالة التي يحملها كمثقف.

وفي سبيل اطلاع المعلم على نظرة العالم للشعب الفلسطيني، عرض المنتدى فيلم رماة الحجارة الذي غص قلبي بمناظر الأطفال الذين غادروا طفولتهم رغماً عنهم، متجاهلين المستقبل الزاهر الذي ينبغي أن يحلموا به، فوجدت لزاماً عليَّ تقديم الممكن للتوفيق بين ما يحلمون به في الحفاظ على حياتهم وضمان المستقبل الذي يليق بهؤلاء الأطفال المقاتلين منذ صغرهم.

وعلى سبيل المعارض، فقد نظم المنتدى معرضاً فنياً للفنان الفلسطيني ناجي العلي الذي مثل حياة شعب في ريشته، فقد كان يمر عليَّ هذا الاسم كبقية الفنانين الكاريكاتيريين، فقد وجدت الهوية الفلسطينية التي يحاول العالم إضاعتها، وتجلت لي نضالات شعب بأسره وتضحياته في أعمال ذلك الفنان المبدع.

ولأننا فلسطينيون، فالسياسة قهوة الصباح التي لا يمكن الاستغناء عنها، لذلك نظم المنتدى مجموعة من الندوات السياسية كتلك التي تناولت وثيقة الأسرى التي اطلعت من خلالها على ما يدور في الغرف المظلمة، مطلعاً بذلك على وجهات نظر مختلف الفصائل، ومواطن الاتفاق والاختلاف حول هذه الوثيقة.

واليوم أجد لزاماً عليَّ القيام بعمل جاد في الحث على الالتحاق بهذا المنتدى، وتشجيع الملتحقين للقيام بواجبهم اتجاه أنفسهم أولاً، ومن ثم اتجاه المنتدى واتجاه الآخرين.

ولحرصي الشديد على استمرار المنتدى بأعماله الرائدة في المجالات الثقافية والتربوية، أجد لزاماً عليَّ تقديم مجموعة من النصائح التي قد تساعد في تطوير عمل المنتدى. فالعمل لا يتطور إلا من خلال انخراط الجيل الشاب من المعلمين في خضم هذه التجربة التي ستساعدهم بلا شك خلال أعمالهم، وتطور مستواهم الثقافي. وأيضاً لا بد من جعل روح التفاهم الأساس للعمل بين الهيئتين الإدارية والعامة، والابتعاد قدر الإمكان عن مواطن الاختلاف التي تحرمنا من الأعمال الرائدة التي يقدمها لنا المنتدى، وكذلك يجب أن يكون الهم الأوحد لجميع الأعضاء العمل على رفع المستوى الثقافي للمعلمين، والابتعاد عن المصالح الشخصية.

وفي النهاية أرى أن أتقدم بالشكر الجزيل والامتنان الكبير لمركز القطان للبحث والتطوير التربوي صاحب فكرة منتديات المعلمين ومساندها. والشكر كل الشكر لمنتدى معلمي إذنا، ممثلاً بهيئته الإدارية على الجهد الذي تبذله في سبيل رفع المستوى الثقافي للمعلمين.

**نعمان سالم**
**منتدى معلمي إذنا**